الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

REPUBLIQUE ALGERIENNE DEMOCRATIQUE ET POPULAIRE

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة 8 ماي 1945 -قالمة-
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

MINISTERE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR
ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE
UNIVERSITE 8 MAI 1945 GUELMA
FACULTE DES SCIENCES HUMAINES ET SOCIALES

شهادة مشاركة

يشهد الأستاذ الدكتور "معلم محمد فوزي" عميد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية والدكتورة كوثر هاشمي رئيسة الملتقى الوطني الموسوم بـــ:

"السياسة الاستيطانية الفرنسية في الجزائر من 1871م إلى غاية 1962م"

المنعقد يوم: 05 ديسمبر 2023م بقاعة المحاضرات عبداوي محمد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة قالمة، أن الأستاذ(ة) الفاضل(ة):

أرفيس علي من جامعة المسيلة

قد شارك(ت) في فعاليات الملتقى بمداخلة عنوانها: "الاستيطان الفرنسي في الجزائر من احتلال الأرض إلى تدمير الذات"

إمضاء عميد الكلية:

إمضاء رئيسة الملتقى:

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 8 ماي 1945 – قالمة –

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الملتقى الوطني حول:

السياسة الاستيطانية الفرنسية في الجزائر

من 1871 إلى غاية 1962

يوم: 05 ديسمبر 2023

حضوري وبتقنية التحاضر عن بعد

هيئة الإشراف على الملتقى:

- **الرئيس الشرفي للملتقى: رئيس الجامعة الأستاذ الدكتور صالح العقون.**
- **المشرف العام للملتقى: السيد عميد الكلية الأستاذ الدكتور محمد فوزي معلم.**
- **ا رئيسة الملتقى: الدكتورة كوثر هاشمي.**

الدباجة:

بعدما نفذت فرنسا حملتها على الجزائر ،مرت بمرحلة من التردد بخصوص مصير الجزائر والتي دامت أربع سنوات 1830– 1834، حيث قررت الحكومة الفرنسية الاحتفاظ الجزائر بإصدار قرار 22 جويلية 1934 وبالتالي توسيع سياسة الاحتلال إلى كل الجزائر، وقد اتخذ هذا القرار بناءا على التقارير الرسمية التي أعدتها أعضاء اللجنة الإفريقية ،وقد تعرضت الجزائر ،بعد هذا القرار من السلطات الفرنسية لأخطر أنواع الاستعمار ممثلا في الاحتلال الاستيطاني الفرنسي، والذي اتبع سياسة استيطانية جد خطيرة، اعتمدت على التهجير الاستيطاني من فرنسا وأوروبا إلى الجزائر قصد بناء القاعدة الديموغرافية لتدعيم القوة العسكرية ولتثبيت وجودها عبر مراحل زمنية اختلفت فيها أشكال الإدارة الاستعمارية بين الحكم العسكري والمدني ولكن الهدف كان واحدا.

الإشكالية:

تتعلق الإشكالية الرئيسية لهذا الملتقى بالسياسة الاستيطانية الفرنسية في الجزائر في الفترة الممتدة من 1871 إلى غاية 1962 وهي فترة الحكم المدني التي أصبحت فيها كل الامتيازات تصب في جعبة المستوطنين ودورها في تثبيت الوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر وما هي مراحلها وأهم الاستراتيجيات المطبقة في تنفيذها ،وما مدى تأثيرها في الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للجزائريين والمستوطنين الفرنسيين.

أهداف الملتقى:

إعطاء صورة واضحة للاستيطان الأوروبي في الجزائر من مفهوم ومراحل وأدوات وقوانين تشريعية وكشف الوسائل الفرنسية المعتمدة في تطبيقه.

الرغبة في ملامسة الظروف التي عاشها الجزائريين في ظل الحركة الاستيطانية.

الوقوف على أهم القوانين والتشريعات الفرنسية لإضفاء الصفة الشرعية لذلك الوجود.

محاور الملتقى:

- ✓ السياسة الاستيطانية في الجزائر قبل 1870
- ✓ النصوص القانونية المنظمة للحركة الاستيطانية في الجزائر
- ✓ توظيف الانثروبولوجيا الاستعمارية في خدمة الحركة الاستيطانية الفرنسية
- ✓ تأثير الاستيطان على البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري
- ✓ التصنيف العرقي للمستوطنين وأثره على الحركة الاستيطانية في الجزائر كمستعمرة فرنسية

اللجنة العلمية للملتقى:

رئيس اللجنة العلمية: الاستاذ الدكتور رمضان بورغدة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة
شايب قدادرة	أستاذ التعليم العالي	جامعة قالمة
يوسف قاسمي	أستاذ التعليم العالي	جامعة قالمة
يوسف تلمساني	أستاذ التعليم العالي	جامعة البليدة
سفيان لوصيف	أستاذ التعليم العالي	جامعة سطيف
مصطفى عبيد	أستاذ التعليم العالي	جامعة المسيلة
منادي عثمان	أستاذ التعليم العالي	جامعة سوق أهراس
كوثر هاشمي	أستاذ محاضر أ	جامعة قالمة
أحمد منغور	أستاذ محاضر أ	جامعة سكيكدة
زنقوفي فوزية	أستاذ محاضر أ	جامعة قالمة
عمر عبد الناصر	أستاذ محاضر أ	جامعة قالمة
محمود ايت مدور	أستاذ التعليم العالي	جامعة بجاية

اللجنة التنظيمية:.

رئيس اللجنة التنظيمية: الدكتور قرين عبد الكريم

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة
قرين عبد الكريم	استاذ محاضر أ	جامعة قالمة
غربي الحواس	أستاذ محاضر أ	جامعة قالمة
السبتي بن شعبان	استاذ مساعد أ	جامعة قالمة
فركوس ياسر	أستاذ محاضر أ	جامعة قالمة
فؤاد طوهارة	أستاذ محاضر أ	جامعة قالمة
بوشارب سلوى	أستاذ محاضر أ	جامعة قالمة
أحلام يوسف	أستاذ محاضر ب	جامعة قالمة
صورية مازيز	طالبة دكتوراه	جامعة قالمة
عليوش قربوعة بشرى	طالبة دكتوراه	جامعة قالمة
كحالي محمد أبو القاسم	طالبة دكتوراه	جامعة قالمة

برنامج الملتقى:

الجلسة الافتتاحية

النشيد الوطني

- **كلمة ترحيبية لعميد كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية الأستاذ الدكتور محمد فوزي معلم.**
- **كلمة رئيس قسم التاريخ الدكتور عمر عبد الناصر**
- **كلمة رئيسة الملتقى الدكتورة كوثر هاشمي**
- **الإعلان عن الافتتاح الرسمي للملتقى من طرف رئيس جامعة 8 ماي 1945 قالمة الأستاذ الدكتور صالح العقون.**

الفترة الصباحية الجلسة العلنية الأولى:

رئيس الجلسة: أ.د/يوسف قاسمي

التوقيت	اسم المتدخل	اسم الجامعة	عنوان المداخلة
09:15 – 09:30	أ.د/رمضان بورغدة	جامعة قالمة	السياسة الاستيطانية الفرنسية في الجزائر المستعمرة خلال القرن 19
09:30 -09:45	أ.د/قدادرة شايب	جامعة قالمة	قراءة تحليلية في كتاب المستوطنون الأوروبيون والثورة الجزائرية 1945- 1962
09:45 -10:00	أ. د. جمال ورثي	جامعة سوق أهراس	تطور الحركة الاستيطانية في منطقة سوق أهراس 1843-1885
10:00 – 10:15	أ.د يوسف قاسمي	جامعة 8 ماي 1945	الظاهرة الاستيطانية الأوروبية في الجزائر وإثرها الديموغرافية على المجتمع 1830- 1900.
10:15 – 10:30	د. هاشمي كوثر	جامعة 8 ماي 1945	الاستيطان الأوروبي في الجزائر ودور زراعة الكروم خلال عهد الجهورية الفرنسية الثالثة

الفترة الصباحية الجلسة العلنية الثانية:

رئيس الجلسة: جمال ورثي

التوقيت	اسم المتدخل	اسم الجامعة	عنوان المداخلة
10:30 -10:45	د/أحمد منغور	جامعة سكيكدة	المخططات والمراكز الاستيطانية في منطقة عزابة بين توطين الأوروبيين واستغلال المجال 1848 -1948
10:45 -11:00	د/رياض بودلاعة	جامعة سكيكدة	تطور الحركة الاستيطانية في الشرق الجزائري 1837- 1848 المخططات والمراكز الاستيطانية
11:00 -11:15	بورمضان عبد القادر	جامعة سكيكدة	مراحل الاستيطان الأوروبي بمدينة عنابة وحوازها.
11:15 -11:30	د. إبراهيم بتقة د. عيسى حمري	جامعة خميس مليانة	تأثير الاستيطان الفرنسي على تدهور اقتصاد الجزائريين 1871- 1914م
11:30 -11:45	نجاة عبو	جامعة سوق أهراس	السياسة الاستيطانية وتأثيرها على المجتمع الجزائري.
11:45 -12:00	د. عكاش عبد السلام أ. رياض بولحبال	جامعة سوق أهراس	مجال تطبيق الأنثروبوجيا الاستعمارية في منطقة القبائل

12:00 – 12:15	د. حورية طبعة	جامعة سوق أهراس	الاستيطان الأوروبي في الجزائر المستعمرة فترة الحكم العام توماس بيجوه 1840- 1847

الفترة المسائية الجلسة العلنية الثالثة:

رئيس الجلسة: د/رياض بودلاعة

التوقيت	اسم المتدخل	اسم الجامعة	عنوان المداخلة
13:00- 13:15	د/مراد عاتي	جامعة قالمة	Policies of the french setter colonialism in Alegria :louis E .Moreau and the Establishment of the Hammam Meskhoutine Thermal city
13:15- 13:30	د/ صالحي توفيق	جامعة سكيكدة	الهجرة الأوروبية وتشكل القرى الاستيطانية في الشرق الجزائري سنة 1848. مراكز سكيكدة أنموذجا.
13:30- 13:45	د. سلوى بوشارب د. سليم سعيدي	جامعة قالمة	أهم التقنيات والأبحاث الأثرية الفرنسية في الشرق الجزائري بين الاكتشاف العلمي ومشروع تشييت الاستيطان.
13:45- 14:00	د/ خميسة مدور	جامعة قالمة	المراكز الاستيطانية في قالمة واقليها خلال القرن 19
14:00- 14:15	د/سعاد بولجويجة	جامعة قالمة	المراكز الاستيطانية في الغرب الجزائري وتأثيرها على الحياة العامة للجزائريين 1830 - 1870
14:15- 14:30	د/ياسر فركوس	جامعة قالمة	أدوات الاستيطان الفرنسي في الشرق الجزائري وآلياته من خلال وثائق ارشيفية تنشر أول مرة في 1845 إلى 1871 قالمة أنموذجا.
14:30- 14:45	د/قرين عبد الكريم	جامعة قالمة	السياسة القمعية الفرنسية وهياكلها في الجزائر من 1871- 1901
14:45- 15:00	د/ عبد الله قرفي	جامعة قالمة	الوجه الآخر لمشروع الاستيطان تفكيك اليد العاملة الجزائرية إلى خادمة لمشروع الاستيطان

ورشة خاصة بطلبة الدكتوراه (حضورية)

رئيس الجلسة: د. سعاد بولجويجة

التوقيت	اسم المتدخل	اسم الجامعة	عنوان المداخلة
10:15 -10:00	ط. د. قربوع عليوش بشرى	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	السياسة الاستيطانية وتأثيرها على المسألة الزراعية في الجزائر المستعمرة 1830-1900.
10:30 -10:15	ط. د. مزيز صورية	جامعة قالمة	السياسة الاستيطانية الفرنسية في الجزائر المستعمرة خلال عهد نابليون الثالث 1852-1870
10:45 -10:30	ط. د. كحالي محمد ابو القاسم	جامعة قالمة	استراتيجية الإدارة الاستعمارية الفرنسية في جعل الجزائر مستوطنة فرنسية خلال فترة الجمهورية الفرنسية الثالثة
11:00 -10:45	ط. د. فاتح علمي	جامعة 8 ماي 1945 قالمة	الاستيطان في ظل تشريعات الجمهورية الثالثة
11:15 -11:00	ط. د. طوالبة صغيرة	جامعة قالمة	التشريعات العقارية الفرنسية الصادرة ما بين 1844- 1852 ودورها في ترسيخ سياسة الاستيطان بالجزائر من خلال المنشورات الفرنسية.
11:30 -11:15	ط. د. فاطمة الزهراء مخالفة	جامعة قالمة	قانون وارنيه 26 جويلية 1873 وأثره على الحركة الاستيطانية في الجزائر المستعمرة

الجلسة الأولى عن بعد: رابط الجلسة: meet.google.com/cve-kiea-cmx

رئيس الجلسة: د/ياسر فركوس

التوقيت	اسم المتدخل	اسم الجامعة	عنوان المداخلة
10:15 -10:00	د. حميد قريتلي	جامعة يحيا فارس المدية	التفكيك الاجتماعي في الجزائر المستعمرة 1830- 1945 المظاهر والنتائج
10:30 -10:15	د. بلقاسم ليلى	جامعة غيليزان	الانعكاسات الاجتماعية للسياسة الاستيطانية على قبائل مينا والصفة اليسرى للشلف 1850- 1890
10:45 -10:30	د. سمير مزرعي	جامعة ابو بكر بلقايد تلمسان	الاسطورة القبائلية خلال النصف التاسع عشر بين مشروعية الطرح وقابلية التحقيق

11:00 -10:45	د. مسعودة بوجلال	جامعة العربي بن مهيدي أم البواقي	الاثار الاجتماعية لظاهرة الاستيطان، وتفكيك الوحدة القبلية أنموذجا.
11:15 -11:00	د. فؤاد غرور د. وليد عطيه	جامعة سطيف	انعكاسات السياسة الاستيطانية الفرنسية على المجتمع الجزائري 1871- 1900
11:30 -11:15	د. سعيد بعلوح د. فاروق عميور	جامعة تيزي وزو	تأثير البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري من خلال كتاب تجريد الفلاحين من أراضيهم جلالي صاري
11:45 -11:30	د. عبد الكريم حرمة	جامعة أدرار	القوانين والإجراءات الفرنسية المشجعة للحركة الاستيطانية في الجزائر في الفترة 1830- 1852
12:00 -11:45	د. هواري صفصاف	جامعة تيسمسيلت	قانون السينالوس كونسيلت 22 أفريل 1863 ودوره في تدعيم السياسة الاستيطانية الفرنسية في الجزائر
12:15 -12:00	د. بلعقون محمد الصالح	برج بوعريريج	الآليات القانونية الفرنسية المعتمدة لتفكيك أراضي العرش في الجزائر 1873- 1926
12:30 -12:15	أ.د. مصطفى عبيد	جامعة لمسيلة	آليات جذب وتثبيت المستوطنين الأوروبيين بالجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي خلال القرن 19
12:45 -12:30	د. بوقلقول عيسى	جامعة الحاج لخضر باتنة	التشريعات العقارية والاستيطان خلال فترة الحكم الملكي 1830- 1842.
13:00 -12:45	د. نادية فتيسي	جامعة قسنطينة	الدعاية للاستيطان الفرنسي بالجزائر من خلال الوثيقة رقم 3214 بالأرشيف الوطني التونسي

الجلسة الثانية عن بعد: رابط الجلسة: meet.google.com/oyi-makz-fws

رئيس الجلسة: د/حواس غربي

التوقيت	اسم المتدخل	اسم الجامعة	عنوان المداخلة
10:15 -10:00	د. غربي فيصل	جامعة غرداية	القوانين والمراسيم الاستيطانية في الجزائر إبان فترة الحكم العسكري 1830- 1870م
10:30 -10:15	د. خيرة بودحام	جامعة الجزائر 2 ابو القاسم سعد الله	دور الحكومة الفرنسية في تدعيم الحركة الاستيطانية بالجزائر (1830- 1870)
10:45 -10:30	د. بوسليماني عبد الرحمان د.طيابي عبد الوهاب	جامعة البليدة 2	الحملات العسكرية الفرنسية على الصحراء
11:00 -10:45	د. عبد الحكيم هادي	جامعة مولود معمري تيزي وزو	النصوص القانونية للاستيطان والمصادرة بين سنتي 1870- 1900
11:15 -11:00	د. عادل فرحاني + د. طارق عزيز فرحالي	المركز الجامعي سي الحواس بريكة	المسألة الغ.... في التشريع الفرنسي خلال مرحلة الحكم المدني وأثرها على الملكية العقارية بالجزائر
11:30 -11:15	د. ماضي أميمة	جامعة باتنة	الاستيطان وانعكاساته السياسية والاجتماعية والاقتصادية على المجتمع الجزائري
11:45 -11:30	د. سميحة سحنون	جامعة البليدة 2	آليات الحركة الاستيطانية الاقتصادية الفرنسية في تفكيك البنية القبلية
12:00 -11:45	د. سالك أحمد أمين	جامعة ابي بكر بلقايد تلمسان	دراسة تاريخية لتطورات الاستيطان الفرنسي بالقطاع الوهراني 1830- 1871.
12:15 -12:00	د. هجيرة أفناري	جامعة يحيا فارس – المدية	الاستيطان الفرنسي في الجزائر – نظرة إدوارد شيلي- من خلال كتابه كلمة عن الجزائر
12:30 -12:15	د. بغداد شاشي	جامعة لمين دباغين سطيف 2	الاستيطان وأثره في تغيير نمط الحياة بالريف الجزائر من الجنمة إلى الخوخ

الجلسة الثالثة عن بعد: رابط الجلسة: meet.google.com/rvj-wdnk-jut

رئيس الجلسة:

التوقيت	اسم المتدخل	اسم الجامعة	عنوان المداخلة
10:15 -10:00	د. توهامي مكاني	جامعة الجزائر	النصوص القانونية المنظمة للحركة الاستيطانية في الجزائر
10:30 -10:15	د. الصادق المالك	جامعة بسكرة	جرائم توماس بيجو في الجزائر قبل 1870 سياسته الإبادة الجماعية والأرض المحروقة أنموذجا.
10:45 -10:30	د. أمحمد طاهري	جامعة لونيسي علي البليدة 2	الصراع السياسي ما بين المستوطنين والمكاتيب الفرنسية وأثره على السياسة الاستيطانية في الجزائر.
11:00 -10:45	د. أرفيس علي	جامعة المسيلة	الاستيطان الفرنسي في الجزائر من احتلال الأرض إلى تدمير الذات
11:15 -11:00	د. حمزة زيتوني	جامعة برج بوعريريج	الحركة الاستيطانية في الجزائر وإرهاصاتها قبل 1870
11:30 -11:15	د. الأعرج داودي	المركز الجامعي نور بشير البيض	حواسين جوانب من السياسة الاستيطانية منطقة البيض دائرة جير ... حسب التنظيم الإداري الاستعماري
11:45 -11:30	د. عبو علي	جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف	مقاومة الجزائريين للسياسة الاستعمارية الفرنسية المصادرة أراضيهم
12:00 -11:45	د. حياة سيدي	جامعة خميس مليانة	البرلمان الفرنسي وسياسته نزع الملكية والاستيطان
12:15 -12:00	د. حورية ومان	جامعة بسكرة	السياسة الكولونيالية الفرنسية ونهب الثروات الاقتصادية للجزائريين وتأثيرها على الوضع الاجتماعي والثقافي للبلاد 1830- 1945 دراسة إحصائية
12:30 -12:15	د. إيمان بودراع	جامعة جامعة زيان عاشور الجلفة	أثر سياسة الاستيطانية على المنظومة الاجتماعية الجزائرية
12:45 -12:00	د. بوراس يوسف	جامعة لمسيلة	موقف مالك بن نبي من الاستيطان الاستعماري الفرنسي في الجزائر.
13:00 -12:45	د. عبد الحميد برنية	جامعة باتنة	نماذج لبعض الدراسات الأنثروغرافية الفرنسية حول المجتمع الجزائري في الفترة الاستعمارية (الغايات والنتائج)

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 08 ماي 1945 ـ قالمة ـ

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

الملتقي الوطني حول

السياسة الاستيطانية الفرنسة في الجزائر

من 1871 إلى غاية 1962

يوم 05 ديسمبر 2023

حضوري وبتقنية التحاضر عن بعد

محور المداخلة: تأثير الاستيطان على البنية الاجتماعية للمجتمع الجزائري

عنوان المداخلة: الاستيطان الفرنسي في الجزائر من احتلال الأرض إلى تدمير الذات

مقدمة:

مما لاشك فيه أن الجزائر قد تعرضت على مدى قرن واثنتين وثلاثين سنة للاحتلال الفرنسي الذي شرّد أهلها واغتصب أرضها واستباح ثرواتها وخيراتها، وركز منذ البداية على: « ... إحكام السيطرة السياسية والإدارية على هذه الأرض وعلى شعبها، واستمرت فرنسا في سياستها القائمة على محو الشخصية الوطنية للشعب الجزائري بكل مقوماتها اللغوية والثقافية والروحية والحضارية، بقصد القضاء عليها باعتبارها العقبة الكبرى التي وقفت في وجه مخططاته لابتلاع الجزائر نهائيا».[1]

ومنذ أن وطئت أقدام الاحتلال الفرنسي أرض الجزائر حتى بدأ في طمس معالمها العربية الإسلامية، وإحلال المعالم الفرنسية بدلها، وقد شمل ذلك كل المدن بدون استثناء، ولكن بدرجات متفاوتة، وشرعوا في ذلك منذ الوهلة الأولى مما يدل على عزمهم على البقاء والاحتلال الدائم خلافا لمن يزعم أنهم كانوا مترددين في البقاء وعدمه، وشمل الطمس: « تغيير الشوارع وأسمائها، وتهديم المنازل والأسواق القديمة وإحداث الساحات مكانها، وتحويل الدور والفيلات والقصور إلى مؤسسات عمومية للجيش والمستشفيات ونحو ذلك، وقد بيعت دكاكين وأضرحة وغيرها إلى الأوروبيين ليتاجروا فيها، كما جرى تحويل المساجد إلى كنائس ومخازن ومستشفيات، وتهديم بعضها نهائيا دون استبدالها بأخرى، ونفس الموقف كان مع المدارس والكتاتيب والزوايا».[2]

والمجتمع الجزائري في الحقيقة قد تعرض لأبشع احتلال عرفه التاريخ، لأن الاحتلال الفرنسي منذ البداية لم يكن استعمارا بل كان استيطانا واستدمارا، فهو لم يقتصر على نهب خيرات و ثروات البلاد، بل عمل على تدمير الإنسان الجزائري من الداخل وطمس هويته، وذلك من خلال طمس المعالم العربية الإسلامية للجزائر، فقد شرع في تغيير الشوارع وأسمائها، وتهديم المنازل والأسواق القديمة وإحداث الساحات مكانها، وتحويل الدور والقصور والمساجد والمدارس والكتاتيب والزوايا إلى مؤسسات عمومية للجيش وكنائس ومخازن ومستشفيات. وعليه نشير إلى أن الاحتلال الفرنسي قد حاول: « بكل ما أوتي من قوة وحقد أن يقتلع الجزائر من جذورها التاريخية والحضارية، وأن يجعلها امتدادا طبيعيا لفرنسا ليس جغرافيا فقط بل تاريخيا وثقافيا واجتماعيا ودينيا وحضاريا، وجند لذلك كل جيوشه الثلاثة: العسكرية، والتبشيرية، والاستشراقية، وقد نجد في الجيش الواحد من يجيد الأدوار

1 تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981 ، ص 74

2 أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 66

الثلاثة كلها».[1] ومنه يمكن أن نطرح الإشكال التالي: ما هو المقصود بالاستيطان ؟ وكيف كانت آثار سياسة استيطان الاحتلال الفرنسي على المجتمع الجزائري ؟

أولا: مفهوم الاستيطان

1 ـ لغة: الاستيطان في **لسان العرب** من الوطن. والوطن: المنزل تقيم به. وهو موطن الإنسان ومحله. وطن بالمكان وأوطن أقام. وأوطنه: اتخذه وطنا. يقال: أوطن فلان أرض كذا وكذا أي اتخذها محلا ومسكنا يقيم فيه. وأوطنت الأرض ووطنتها توطينا. واستوطنتها أي اتخذتها وطنا. أما المواطن فكل مقام قام به الإنسان لأمر فهو موطن له[2]. والاستيطان في **مختار القاموس** من الوطن ويعني: منزل الإقامة جمعها أوطان. ووطن به يطن. وأوطن : أقام. واستوطنه: اتخذه وطنا[3]. إذا فالاستيطان في المعاجم اللغوية مأخوذة من كلمة الوطن ويعني ذلك اتخاذ الأرض موطناً. ومنها أوطنت بالأرض واستوطنتها أي اتخذتها موطناً.

2 ـ اصطلاحا: لقد تعددت التعريفات للاستيطان واختلفت الرؤى والتصورات حول ضبط تعريف دقيق له، إلا أن هناك تعريفا جامعا وعاما، إذ يعرف الاستيطان على أنه: « عملية إسكان واسعة في أرض محتلة، وذلك بذريعة الإعمار، وإرساء سيطرة الدولة المهيمنة على الأرض التي ضمتها، وباتت تعتبرها جزءا منها. وقد تكون دوافعه أيديولوجية دينية وعنصرية»[4].

وساد الاستيطان مع انتشار الظاهرة الاستعمارية في موجتها الثانية خلال القرنين 19 و20، والتي كان دافعها الرئيسي البحث عن الأسواق والمواد الأولية، وكذلك نشر الثقافة الغربية والدين المسيحي في بعض الأحيان. وخلال الحقبة الاستعمارية قد: «تمّ الترويج للاستيطان ضمن المنظومة الاستعمارية القائمة على ادعاء التنوير ونشر الحضارة والقيم الإنسانية الراقية، بيد أن الاستيطان قد تكون له دوافع أيديولوجية ذات خلفية دينية وعنصرية»[5].

---

1 بن ابراهيم الطيب، مواقف وأفكار مشتركة بين مالك بن نبي وابن خلدون، (د ط)، دار مدني، الجزائر، 2002، ص 29

2 ابن منظور: لسان العرب، (دون طبعة)، دار المعارف، القاهرة، (دون تاريخ)، ص 4868

3 الطاهر أحمد الزاوي، مختار القاموس، الدرار العربية للكتاب، ليبيا، (دون تاريخ)، ص 662

4 https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2015/12/18

5 المرجع نفسه

ثانيا: مراحل الاستيطان:

يمرّ الاستيطان عادة بالمراحل الرئيسية التالية:

ـ **مرحلة تبلور المفهوم:** يتبلور مفهوم الاستيطان تدريجياً بفعل منظرِّين، يطرحون فكرة الاستيطان، وأهدافها، وأساليب تحقيقها، والمصالح الناتجة منها. وتتأثر تلك الفكرة بعوامل عدة منها: الأوضاع الاقتصادية والتغيرات البيئية، والمشاكل الاجتماعية، والأحوال السياسية والعسكرية، والكوارث الطبيعية مثل الفيضانات أو الجفاف أو الحرائق.

ويؤثر تحديد مفهوم الاستيطان في التنظيم الاقتصادي، ونظام السلطة، ودرجة الإشراف على المهاجرين، وتكوينهم السكاني، ومتطلبات التكيف مع أساسيات التقانة المعاصرة، وتغير مفهوم النظم والأنساق الاقتصادية والاجتماعية.

ـ **مرحلة التخطيط:** تتم في هذه المرحلة الأعمال الأساسية التالية:

أ . إجراء الدراسات الجغرافية الطبيعية والبيئية لتحديد معالم بيئة الاستيطان الطبيعية، وتهيئة البنى التحتية.

ب . إجراء الدراسات الاجتماعية لتحديد خصائص السكان الأصليين، وخصائص الأفراد والجماعات التي تشملها عملية الاستيطان.

ج . إنشاء نظام إداري لنقل المهاجرين وإدارة الأنشطة الاقتصادية والخدمات الصحية والتربوية والترفيهية.

د . تحديد الأنماط التنظيمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي تناسب الحياة في المجتمع الجديد[1].

ـ **مرحلة التنفيذ:** تتحدد في هذه المرحلة الميادين التالية:

أ . النظام الإداري، ليكون العاملون فيه من المتخصصين، ويكون لدى هذا النظام القدرة على توفير حوافز العمل والعيش، ولامركزية السلطة ومرونتها.

ب . المستوطنون، وتوضع معايير عدة لاختيارهم بحسب أهداف المجتمعات المستحدثة والعوامل المؤثرة في إنشائها.

ج . ضمان علاقة توازن بين النظام الإداري والمستوطنين، من أجل تماسك المجتمع وتكامله، والتقليل من حدة آثار المشكلات الاجتماعية.

ـ **مرحلة المتابعة:** بقصد تعرف نقاط القوة والضعف، ثم إجراء التطويرات والتعديلات المناسبة وفق معطيات كل موقف[2].

---

[1] https://arab-ency.com.sy/ency/details/3092/2 (الموسوعة العربية)

[2] المرجع نفسه

ثالثا: سياسة استيطان الاحتلال الفرنسي وآثارها على المجتمع الجزائري

سياسة الاستعمار الفرنسي تجاه الجزائر ومواقفه ظلت ثابتة منذ بداية الاحتلال عام 1830 حتى استقلت الجزائر عام 1962، فقد كانت مشاريعه تدور كلها في نطاق سياسة إدماج الجزائر في فرنسا التي أعلنها سنة 1865، وفي محاربة الشخصية الوطنية للشعب الجزائري بكل أبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحضارية، بقصد تدميرها باعتبارها العائق الكبير الذي وقف في وجه مشاريعه.

1 ـ الأوضـاع السياسيــة

إن الجيش الفرنسي قد نزل بقرب الجزائر العاصمة يوم 14 جوان 1830، وبعد قتال مرير وخسائر فادحة من الطرفين، استسلمت الحكومة في 05 جويلية من نفس العام، ثم أمضى كل من الداي رئيس الدولة الجزائرية والكونت دي بورمونت القائد الأعلى للجيش الفرنسي معاهدة تعرف بإتفاق الجزائر، حيث:« نصت المادة 05 من هذا الاتفاق على مايلي: حرية العمل بالدين الإسلامي، ضمان حرية جميع الطبقات والأديان، والممتلكات والتجارة والصناعات واحترام كامل للمرأة الجزائرية. أما المادة 02 فقد نصت على احترام التقاليد الجزائرية، وعلى أنه لن يؤذن للجنود الفرنسيين بدخول المساجد الجزائرية».[1]

بالإضافة إلى ذلك فإن الفرنسيين قد قدّموا أنفسهم إلى الجزائريين على أنّهم محرّرون لا منتصرون، ففي: «بيان بالعربية وزعه عملاء خاصون عشية النزول بالجزائر، ادّعى الفرنسيون بأن حركتهم كانت تستهدف القضاء على الداي الطاغية فقط، وأن كل الممتلكات وقضايا الأسرة والبلاد نفسها ستبقى في يد الجزائريين، وأن المساجد وأماكن العبادة ستحترم بصفة نافذة، وأن الفرنسيين سيحررون الجزائر من الطغيان التركي».[2]

وقد كان للجيش الفرنسي في الجزائر كامل الحرية في معالجة الوضع بالطريقة التي يراها مناسبة، وعندما وصلت باريس أخبار الاصطدامات السياسية والعسكرية بين الجزائريين والجيش الفرنسي بواسطة حملة نظمتها جماعة جزائرية منفية وصحافة المعارضة الفرنسية، أجابت باريس بإرسال لجنة تحقيق تعرف باللجنة الافريقية، وبعد بحث طويل قدمت اللجنة الإفريقية تقريرا استنكرت فيه تصرفات الجيش الفرنسي في الجزائر بهذه العبارات:« لقد حطمنا ممتلكات المؤسسات الدينية وجردنا السكان الذين وعدناهم بالاحترام، وأخذنا الممتلكات الخاصة بدون أي تعويض، وذبحنا أناسا كانوا يحملون عهد الأمان، وحاكمنا رجالا يتمتعون بسمعة القديسين في بلادهم، لأنهم

[1] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2 ، ط 4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 17 ، 18.
[2] المرجع نفسه، ص 18 .

كانوا شجعانا لدرجة أنهم صارحونا بحالة مواطنيهم المنكوبين»[1] ولكن اللجنة قد أوصت بالإبقاء على الجزائر ملكا لفرنسا وبإدارتها بواسطة حاكم عام عسكري.

وبناء على هذه التوصيات، فإن الحكومة الفرنسية قد أصدرت قرارها المشهور في 22 جويلية 1834 الذي اعترف بالإحتلال كحقيقة واقعة والذي نص على إنشاء منصب حاكم عام عسكري ليدير الممتلكات الفرنسية في إفريقيا الشمالية، وقد:« كان الجنرال درويت ديرلون هو أول حاكم عام للجزائر، يساعده مجلس مكون من موظفين عسكريين ومدنيين، وبينما أعلن قرار سنة 1834 أن الجزائر أرض فرنسية، فإنه قد قسمها إداريا إلى ثلاث ولايات تحت المراقبة المباشرة للحاكم العام، وكل ولاية كانت قد قسمت إلى دوائر وبلديات، تماما مثلما كان الحال في فرنسا، وبالإضافة إلى ذلك فإن كل ولاية كانت تبعث بنائب إلى المجلس الوطني الفرنسي».[2]

وتعرضت الجزائر منذ بداية الاحتلال عام 1830 إلى نوعين من الجيوش الغازية هجما عليها في وقت واحد:« أحدهما جيش مدجج بمختلف أسلحة الفتك والدمار المعروفة في ذلك التاريخ، وثانيهما جيش من نوع آخر إلا أنه لم يكن مدججا بالسلاح كالجيش الأول، وإنما كان في شكل حمامة السلام، ولكن مهمته في الواقع تعتبر أخطر من مهمة الجيش الأول، ونعني به جيش المبشرين المسيحيين الذين حضروا إلى الجزائر في ركاب جيش الاحتلال لمساعدته في تحقيق أهدافه الاستعمارية».[3]

وكان الجيش الأول يقوم بالهجوم على ناحية من النواحي القطر فيدمر مساكنها ويخرب مزارعها ويفتك برجالها ونسائها، وبعد أن ينهي مهمته على الوجه المطلوب:« يخلي مكانه للجيش الثاني كي يكمل بقية المهمة، حيث يأتي رجال التبشير يحملون الخبز والدواء والكساء في يد والصليب والإنجيل في يد أخرى، فلا يطعمون البطون الجائعة ولا يداوون الجروح الغائرة ولا يكسون الأجسام العارية، إلا إذا قبلت الضحية التخلي عن أقدس مقدساتها وهو دينها الحنيف ورضيت بالدخول في النصرانية».[4]

ونشط هؤلاء المبشرون الذين أصبحوا فيما بعد يعرفون باسم "الأباء البيض" لتنصير أبناء الجزائريين وبناتهم ممن استشهد آباؤهم في ساحات الجهاد، دفاعا عن شرف بلادهم وحريتها، كما استغلوا كوارث المجاعات والأوبئة الفتاكة التي اجتاحت الجزائر في عهد الاحتلال كي يجمعوا الأطفال الصغار في مراكز خاصة من أجل تنصيرهم:«

---

[1] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2 ، ص 19 ، 20.

[2] المرجع نفسه ، ص 20.

[3] تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح والتربية في الجزائر، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981، ص 42.

[4] المرجع نفسه، ص 42.

والواقع أن سياسة فرنسا في الجزائر كانت تقوم منذ البداية على أربعة أسس أو قواعد التزمت بها حتى خرجت من الجزائر في عام 1962 وهذه الأسس أو القواعد هي: التفقير، التجهيل، التنصير، الفرنسة».[1]

ولهذا يمكن الإشارة إلى أن الجزائر قد ابتليت على مدى قرن واثنتين وثلاثين سنة بالاحتلال الذي شرد أهلها واغتصب أرضها واستباح ثرواتها وخيراتها، وركز منذ البداية على: « إحكام السيطرة السياسية والإدارية على هذه الأرض وعلى شعبها، واستمرت فرنسا في سياستها القائمة على محو الشخصية الوطنية للشعب الجزائري بكل مقوماتها اللغوية والثقافية والروحية والحضارية، بقصد القضاء عليها باعتبارها العقبة الكبرى التي وقفت في وجه مخططاته لابتلاع الجزائر نهائيا».[2]

ويلاحظ أن عملية الدمج التي فرضها الاحتلال على الجزائر، ورفضها الجزائريون كانت ذات وجهين:« فمن ناحية تعتبر الجزائر بحكم تطبيق الادماج عليها جزءا لا يتجزأ من فرنسا أو بالأصح من التراب الفرنسي، ومن الناحية الأخرى يعتبر الجزائريون أصحاب البلاد مواطنين من الدرجة الثانية يقومون بجميع الواجبات المطلوبة من المواطنين الفرنسيين، ولكنهم لا يتمتعون بحقوق وامتيازات المواطن الفرنسي من أصل أوروبي في المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية، وعلى هذا فهم فرنسيون وغير فرنسيين في وقت واحد، فرنسيون في أداء الواجبات مثل الخدمة العسكرية والضرائب وغيرها، وغير فرنسيين من ناحية حرمانهم من حقوق المواطن الفرنسي وخضوعهم لقوانين زجرية خاصة بهم وحدهم أطلق عليها اسم قوانين الانديجينا أو قوانين السكان المحليين وهي قوانين في غاية القسوة والبشاعة».[3]

ولقد كان للسياسة الفرنسية في الجزائر منذ الاحتلال سنة 1830 ثلاثة أهداف:« الأول: صنع الجزائر الفرنسية بكل ما يعنيه ذلك من أبعاد، ثانيا: طمس التاريخ والشخصية الجزائرية وإزالتهما من الاعتبار، ثالثا: قهر أي نوع من أنواع المقاومة التي يمكن أن تزعج أمن فرنسا في الجزائر واستخدام كل الأساليب والوسائل للوصول إلى ذلك الهدف».[4]

---

[1] تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 42، 43.

[2]. تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981 ، ص 74.

[3]. المرجع نفسه، ص 76 ، 77 .

[4] أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 2 ، (د ط)، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 89 .

2 ـ الأوضـاع الاقتصـاديـة

لقد كانت المسألة الاقتصادية هي العمود الفقري في سياسة فرنسا الاستعمارية في الجزائر، فالاقتصاد الجزائري هو السبب الأول الذي دفع فرنسا لاحتلال الجزائر، و كانت سياسة فرنسا الاقتصادية في الجزائر عملية اغتصاب ونهب عبر عنها الجنرال " بيجو" بقوله :« يجب أن يقيم الفرنسيون المستوطنون حيثما وجدت المياه الغزيرة والأراضي الخصبة، بدون أي اهتمام بحق ملكية الأرض التي يجب توزيعها على المستعمرين المستوطنين، وأن تصبح هذه الأراضي الخصبة من أملاكهم الشخصية».[1]

وبدأ المستوطنون في الاستقرار على أرض السهول الساحلية، ثم لم يلبثوا أن أخذوا في التوغل نحو السهول الداخلية، ونحو مناطق المناجم الصحراوية، وعملت الحكومة الفرنسية على تشجيع الأفراد الفرنسيين خاصة والأفراد الأوروبيين عامة على الهجرة والاستيطان في الجزائر، وكان:« القطاع الزراعي هو المورد الرئيسي والتقليدي للبلاد، ولقد عمل النظام الاستعماري على جمع أكثر الأراضي خصبا وتركيزها في قبضة الاقطاع الفرنسي، وأدى ذلك بصورة طبيعية إلى بؤس الموطن الجزائري كنتيجة حتمية لانتزاع الأراضي الخصبة منه وتقديمها للأوروبي، ونجم عن ذلك تفاوت هائل بين الملاك الأوروبيين والملاك الجزائريين».[2]

و نتيجة لهذا الوضع كان الجزائريون ملزمين بأنواع مختلفة من الضرائب، حيث: « فرض عليهم مبالغ من المال وبعض المواد الغذائية للقياد وأعوانهم، ومما أدى إلى نقص الأراضي لدى الجزائريين واستيلاء الفرنسيين عليها الهجرات الجماعية للجزائريين، وما بقي من أراض في أيدي بعض الجزائريين، فبالإضافة إلى أنها كانت أقل خصبا من أراضي المستوطنين، فإن جهل الجزائريين وفقرهم لم يمكناهم من الاستفادة منها الاستفادة الصحيحة، كما أن المستوطنين تمتعوا بالقروض الفلاحية التي حرم منها أبناء البلد» [3] كما تعرضت البلاد إلى مجاعة خطيرة عقب الحرب العالمية الأولى عامي (1920 ـ 1921) وذلك: « بسبب الجفاف، وقد حاولت الإدارة الفرنسية في الجزائر إخفاء الأمر عن الحكومة الفرنسية في باريس، لولا تسرب المعلومات عن طريق الصحف الفرنسية، وكان ضحية هذه المجاعة بلا شك هو الشعب الجزائري إذ وصل عدد الضحايا إلى نصف مليون جزائري».[4]

هذا من الناحية الزراعية أما الصناعة والتجارة فلم تتطور كثيرا منذ بداية الاحتلال، إذ:« اقتصرت الصناعة على الصناعات الخفيفة للاستهلاك المحلي مثل تصنيع الأغذية، وبعض الصناعات الآلية والكهربائية والمنسوجات

---

[1] بسام العسلي، الله أكبر وانطلقت ثورة الجزائر، ط2 ، دار النفائس، بيروت، 1986 ، ص 19.

[2] بسام العسلي، الله أكبر وانطلقت ثورة الجزائر، مرجع سابق ، ص 20 ، 21.

[3] مازن صلاح حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مؤسسة عالم الأفكار، المحمدية، 2011 ، ص 41 ، 42.

[4] المرجع نفسه، ص 42 .

والجلود، وقد تركزت الصناعات في المناطق التي كان عدد الأوروبيين فيها يفوق عدد المسلمين، وكان لهم السيطرة على هذه الصناعات امتلاكا وتشغيلا وكذلك الأمر بالنسبة للتجارة فقد احتكرها المستوطنون واليهود، فكانت الجزائر تصدر الخمور لتستورد مقابلها من فرنسا ما يحتاجه وما لا يحتاجه القطر الجزائري مما تنتجه معامل ومصانع فرنسا».[1]

كما عرفت الجزائر كل أنواع الكوارث الطبيعة والنكبات الاقتصادية والأزمات السياسية والمآزق الاجتماعية منذ أن وطئت جحافل الغزو الاستعماري الاستيطاني بأقدامها ثرى الجزائر، وكانت: « السياسة الوحشية التي طبقتها السلطات الفرنسية ضد الجزائريين أساس كل هذه المحن، التي عملت على تحويل الجزائريين إلى طبقة بائسة محرومة من كل ضرورات الحياة ومتطلباتها، فالعمليات العسكرية التي شنها الجيش الفرنسي، أدت إلى تدمير إنتاجهم الزراعي وثروتهم الحيوانية، بالإضافة إلى تخريب صناعتهم التقليدية والقضاء على أسواقهم التجارية، وجاءت الغرامات والضرائب الباهضة المفروضة لتزيد من بؤس المواطنين الجزائريين».[2]

ولم تقف الكوارث الطبيعية عند حدود انتشار الأوبئة، وإنما تجاوزتها بسبب ما حدث من القحط والجفاف، مما أدى إلى نفاد المحصولات الزراعية والغذائية:« فمنذ العام 1865 والمطر يشح ولا ينزل إلا بمقدار، وفي أيام قليلة من فصل الشتاء، ودام هذا القحط ثلاث سنوات، وخاصة عام 1867 الذي قلت فيه حتى مياه الشرب، وجفت الينابيع في الصيف، واشتد البرد في الشتاء، فيبست الحشائش وماتت المواشي، وتفشت من جراء ذلك المجاعة في البلاد حتى أصبح الناس يؤرخون بها ويقولون حدث ذلك (عام الشر)، وقضت هذه المجاعة على أكثر من ثلاثمائة ألف جزائري، في حين قدر بعضهم عدد الضحايا بضعف هذا الرقم».[3]

وقد استغل اليهود المجاعة عامي 1867 و1868 لتنمية ثرواتهم وأرباحهم عن طريق القروض التي كانوا يقدمونها للمنكوبين بفوائد فاحشة تتراوح بين أربعين ومائة بالمائة لمدة شهرين أو ثلاثة فقط من العام:« مما جعل الكثيرين من الجزائريين يفقدون في نهاية الأمر أملاكهم ويتحولون إلى عمال بالخماسة، وبات من المحال على الجزائريين الوفاء بديونهم حتى عندما تخصب أراضيهم ويرتفع مردودها، إذ كان السماسرة اليهود والمعمرون من الأوروبيين يتدخلون لخفض أسعار الحبوب بنسبة عشرين وحتى ثلاثين بالمائة».[4] وهكذا بقي سواد الشعب

[1] مازن صلاح حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مرجع سابق، ص 42 ، 43 .

[2] بسام العسلي، محمد المقراني، ط3 ، دار النفائس، بيروت، 1990، ص 99.

[3] المرجع نفسه، ص 100، 101 .

[4] المرجع نفسه، ص 102.

الجزائري المسلم نهبا للأمية والفقر المدقع والأمراض الفتاكة. و كان هذا التناقض الفاضح بين حياة أقلية مترفة وأكثرية ساحقة محرومة هو الصورة الغريبة والمثيرة لما كانت عليه الجزائر طوال فترة الاستعمار.

3 ـ الأوضاع الاجتماعية

من ناحية الوضع الاجتماعي انقسم المجتمع في الجزائر بعد الاحتلال إلى مجموعتين من السكان: المجموعة الأولى وتتكون من الجالية الأوروبية التي وفدت إلى الجزائر في ركاب الاحتلال، وتمكنت من السيطرة على أهم: «النشاطات الاقتصادية في البلاد، وبالتالي أصبحت تحتل مركزا اجتماعيا ممتازا نظرا لثرائها وحماية دولة الاحتلال لها، ويتكون من بينها الاقطاعيون في الريف والرأسماليون في المدن، وكلمتها نافذة لدى حكومة الاحتلال في كل ما يتعلق بحاضر الجزائر أو مستقبلها، وبالرغم من أن أفراد هذه الجالية خليط من مختلف البلدان الأوروبية إلا أنهم من ناحية الجزائريين يقفون كتلة واحدة بقصد حرمانهم من كل تطور اجتماعي أو ثقافي أو اقتصادي يستهدف الارتفاع بمستواهم العام».[1]

أما المجموعة الثانية فهي تتكون من أفراد الشعب الجزائري وهم يحتلون:« المركز الأدنى من السلم الاجتماعي، ويعيشون على هامش الحياة، باعتبارهم مجموعة خاضعة للاحتلال من ناحية، ومكروهين من الجالية الأوروبية من ناحية أخرى، وهذا ما يفسر الحرمان الذي كان يعانيه الجزائريون في كل الميادين، ومما ساعد على تردي وضع الجزائريين من الناحية الاجتماعية هو إبعادهم عن الوظائف الإدارية في البلاد».[2]

وهناك سياسة خطيرة وهي سياسة " فـرّق تسـُد " التي حاول الاستعمار نشرها واستغلالها، من ذلك:« إحداث خلافات مذهبية من حنفية ومالكية وإباضية، واختلافات بين الطرق الصوفية من قادرية وتيجانية وغيرها، بالإضافة إلى الاختلافات العرقية فهذا عربي وهذا قبائلي وهذا ميزابي ، بل إن الاستعمار صنف العرب أصنافا منهم الحضري والأندلسي والبدوي».[3]

ولقد حاول الاستعمار بكل الوسائل أن يمزق شمل الوحدة الوطنية للشعب الجزائري عن طريق العمل على إحياء العصبية الأمازيغية (البربرية) التي قضى عليها الإسلام ، وزعم أن الأمازيغ هم من أحسن الناس إسلاما وعروبة، لهم كيانهم الخاص ولغتهم الخاصة وأعرافهم الخاصة التي تختلف اختلافا كبيرا عن كيان ولغة وأعراف بقية الجزائريين. كما زعم أن:« الأمازيغ (البربر) لم يعتنقوا الدين الإسلامي إلا ظاهريا فقط، ولم يمس الإسلام شغاف

---

[1]. تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، مرجع سابق، ص 90.

[2]. المرجع نفسه، ص 91 .

[3]. مازن صلاح حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مرجع سابق، ص 44.

قلوبهم، وأنه من أجل ذلك يجب أن يكون لهم وضع خاص بهم يتمثل في إحياء اللغة الأمازيغية والتقاليد والأعراف الأمازيغية الوثنية التي ينبغي حسب زعمه أن تكون هي الأساس الذي يحتكمون إليه من الناحية القانونية في أمور الأحوال الشخصية بدل الاحتكام إلى الشريعة الإسلامية».[1]

وقد بنى الاستعمار الفرنسي زعمه الباطل هذا على أساس أن الجزائر يقطنها: « عنصران مختلفان من السكان هما: العرب من ناحية، والأمازيغ (البربر) من ناحية أخرى، حتى أنه كون جهازا تعليميا خاصا بهم، وحرم التحدث بينهم باللغة العربية، وقصره على اللغة الفرنسية واللهجة البربرية وحدهما، كما منع تكوين المدارس العربية الحرة والكتاتيب القرآنية لتعليمهم أبناءهم القرآن الكريم والدين الإسلامي».[2]

ولم تقف جهود فرنسا عند حدود أعمال الإبادة المباشرة للجزائريين، وإنما تجاوزتها إلى أعمال الإبادة غير المباشرة وفي طليعتها:« إهمال الناحية الصحية، ونقل الأمراض والأوبئة إلى الجزائر ومنها أمراض السل والسرطان والأمراض التناسلية ، ومعروف أن الجزائر وإفريقيا كلها عامة لم تكن تعرف قبيل الاحتلال الفرنسي شيئا عن مثل هذه الأوبئة، ولم يأت بهذه الأمراض الفتاكة غير جنود الحملة الفرنسية المكونين من السجناء واللقطاء والمرتزقة ، وهكذا فقد رافقت الحملة الفرنسية حملة أخرى من الأوبئة المخيفة التي صدرها المجتمع الفرنسي القذر».[3]

ولعل من أبرز الأمراض التي انتشرت في أوساط المجتمع الجزائري مرض الكوليرا والتيفوس، وكان:« وباء الكوليرا قد ظهر في العام 1866 بشكل محدود، ثم تعاظم خطره في العام 1867، وانتشر في البلاد عن طريق المسافرين الأجانب الذين كانوا يفدون إلى البلاد عن طريق الموانئ، ومع انتشار الكوليرا انتشر أيضا مرض التيفوس، فأخذ الجزائريون يموتون بالجملة في القرى والطرقات العامة، مما أرغم السلطات الفرنسية على تسخير السكان لحفر الخنادق العميقة لدفن الموتى، وذكر أن عدد الضحايا الذين ماتوا خلال شهرين فقط قد وصل إلى مائتي وخمسين ألفا».[4]

ونتيجة لهذه الوضعية المتردية، فقد ضاقت الجزائر بأبنائها، بعد أن استحوذ الأوروبيون على الأراضي الخصبة وطردوا أصحابها الشرعيين إلى الجبال الجرداء والمناطق القاحلة مما اضطرهم إلى الهجرة من بلادهم إلى فرنسا، وإذا كان القصد:« من هجرة الأوروبيين إلى الجزائر هو ملء البلاد بجنس آخر غير سكانها الأصليين، فإن هجرة الجزائريين إلى فرنسا وهي الهجرة المقابلة لها لم يكن الدافع إليها هو حب السيطرة، أو إحلال شعب محل شعب

[1] تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 20 ، 21.
[2] المرجع نفسه، ص 21.
[3] بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس، ط2 ، دار النفائس، بيروت، 1983 ، ص 37.
[4] بسام العسلي، محمد المقراني، مرجع سابق، ص 100 .

آخر، بل كان الدافع اليها اقتصاديا واجتماعيا ونفسيا، وهو البحث عن مصدر للعمل الشريف والشعور بالكرامة الإنسانية المهدورة في الجزائر والبحث عن جو تتوفر فيه الحرية الشخصية المفقودة في ظل الاحتلال».[1]

4 ـ الأوضاع الثقافية

إذا كان الوضع الثقافي لأي مجتمع يعتبر انعكاسا لواقعه السياسي وبنائه الاقتصادي وتركيبته الاجتماعية، فلا شك أن حالة الجزائر من الناحية الثقافية: « تعتبر سيئة للغاية نظرا للضغوط العنيفة التي تعرض لها الشعب الجزائري خلال قرن وثلث من الاحتلال، والواقع أن الاستعمار بعد أن بسط نفوذه على الجزائر حارب اللغة العربية والثقافة العربية، كما حارب الشخصية الجزائرية حربا لا هوادة فيها، ولما كانت اللغة العربية هي وعاء الثقافة العربية، فقد ركز الاحتلال حربه عليها لأنه متى تم القضاء عليها يمكن القضاء على الثقافة العربية والشخصية الجزائرية بسهولة ويسر».[2]

لهذا منذ أن وطئت أقدام الاحتلال الفرنسي أرض الجزائر حتى بدأ في طمس معالمها العربية الإسلامية، وإحلال المعالم الفرنسية بدلها، وقد شمل ذلك كل المدن بدون استثناء، ولكن بدرجات متفاوتة، و شرعوا في ذلك منذ الوهلة الأولى مما يدل على عزمهم على البقاء والاحتلال الدائم خلافا لمن يزعم أنهم كانوا مترددين في البقاء وعدمه، وشمل الطمس:« تغيير الشوارع وأسمائها، وتهديم المنازل والأسواق القديمة وإحداث الساحات مكانها، وتحويل الدور والفيلات والقصور إلى مؤسسات عمومية للجيش والمستشفيات ونحو ذلك، وقد بيعت دكاكين وأضرحة وغيرها إلى الأوروبيين ليتاجروا فيها، كما جرى تحويل المساجد إلى كنائس ومخازن ومستشفيات، وتهديم بعضها نهائيا دون استبدالها بأخرى، ونفس الموقف كان مع المدارس والكتاتيب والزوايا».[3]

وكانت الكنيسة الكاثولوكية سريعة الترحيب باحتلال الجزائر عام 1830، ففي:« مرسيليا صرح رجال الدين بصراحة أن الأرض الجديدة ستوظف في إطفاء حماسة المبشرين الفرنسيين، وفي سنة 1838 أحيا البابا جريجوري السادس عشر أسقفية شرشال وعين الحبر دوبوش رئيسا لها وتعهد أن يعيد الأرض التي جعلها القديس أوغسطين ذات يوم مشهورة إلى الدين الحقيقي».[4]

---

[1] تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 28 ، 29.

[2]. تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، مرجع سابق، ص 93 ، 94.

[3] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 66.

[4] أندري ديرليك، عبد الحميد بن باديس مفكر الإصلاح وزعيم القومية الجزائرية، ترجمة: مازن بن صلاح مطبقاني، (د ط)، عالم الأفكار، الجزائر، 2013 ، ص 77.

واعتقد الفرنسيون أن سقوط الجزائر يعني سقوط قلعة إسلامية وعودة المسيحية إلى ديارها، ففي:« يوم الأحد الموالي لدخولهم مدينة الجزائر ـ أي يوم 11 يوليو 1830 ـ أقاموا حفلا دينيا ضخما في الساحة الرئيسية للقصبة، حضره الجنرالات والضباط والجنود، وها هو أحد الفرنسيين المعاصرين يروي لنا مشاعره في ذلك فيقول إن الاحتفال الضخم جرى في القصبة التي بناها أبناء محمد ﷺ لمواجهة أبناء عيسى(عليه السلام)، وقد رتلوا آيات الانجيل بأصوات عالية أمام آيات القرآن التي أصبحت ميتة. وليس هذا الاحتفال خاصا بمناسبة نجاح الغزو الفرنسي، بل إنه تكرر في مختلف المناسبات».[1]

وكانوا يعتبرون الجنود الذين ماتوا في الجزائر شهداء المسيحية، وهذا:« أحد كُتّاب فرنسا المتحمسين للاستعمار الديني وهو (بوجولا) يكاد يتفجر فرحا بانتصار الصليب على الهلال في الأرض الإفريقية (الجزائر) ويعلن أن الفرنسيين قد علقوا الصليب منذ البداية على ثلاث مآذن في مدينة الجزائر، وفي نظره أن قتلى الحملة من الفرنسيين هم (شهداء الحضارة والوطن والمسيحية)، واعتبر أن دماءهم قد وطدت دعائم الكنيسة المسيحية في الجزائر».[2]

لقد كان في مدينة الجزائر وحدها يوم وطئتها أقدام الغزاة الصليبيين الفرنسيين سنة 1830 مائة وستة مساجد، وعندما حرر المسلمون الجزائريون بلادهم سنة 1962 لم يكن في عاصمة الجزائر أكثر من ثمانية مساجد فقط . و بدأت عملية احتلال المساجد مع البدايات الأولى لغزو الجزائر، ففي سنة 1832 صرح "روفيغو" : « بأنه يلزمني أجمل مسجد في المدينة لنجعل منه معبد إله المسيحيين، عجلوا بذلك فجامع كتشاوة هو أجمل مسجد في المدينة خاصة وأنه يتاخم القصر ويقع وسط الدوائر الحكومية والحي الأوروبي».[3]

وتملك الجزائريون الفزع وهرعوا إلى المسجد يحمونه بقلوبهم ودخل أربعة آلاف منهم رحاب المسجد، وأقفلوا الباب عليهم، وقد عقدوا النية على الاستشهاد معه، وفي: « يوم 18 ديسمبر 1832 حضرت قوات من المدفعية والمشاة الفرنسيين وأحاطوا بالمسجد، واقتربت فرقة من حاملي الفؤوس وأخذت تكسر الباب الموصد، وبينما كان صياح الأهالي واستغاثاتهم تعلو عنان السماء، كانت القوات الفرنسية تقتحم رحاب المسجد وتنطلق بوحشية وهي تطعن الأهالي بحد الحراب والسيوف، وقتل الجزائريون عن آخرهم وطلي الجامع بدمائهم، وقام القساوسة يتلون أناشيد الغفران على أشلائهم الممزقة، وتم تحويل المسجد إلى كنيسة عرفت باسم (كنيسة سان فيليب) ».[4]

---

[1] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1 ، مرجع سابق، ص 79 .

[2] أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1 ، مرجع سابق، ص 80 .

[3] بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس، مرجع سابق، ص 31.

[4] المرجع نفسه، ص 31 ، 32.

وبهذا حاول الاحتلال أن يعزّز عملية غزوه العسكري للجزائر بغزو ثقافي وفكري، سعى من ورائهما إلى محاولة تحطيم الشخصية الوطنية للشعب الجزائري، حتى يجرده من أهم وأخطر أسلحة المقاومة المعنوية التي جعلته يحتفظ بكيانه العربي الاسلامي، وذلك من خلال محاولة إخراج الجزائريين من دينهم الإسلامي وتنصيرهم، كي يصبحوا مسيحيين يحملون عقيدة المحتل لبلادهم وهذا يعني إحلال الديانة المسيحية محل الديانة الاسلامية في الجزائر، حتى ينهار مقوم من مقومات الشخصية الجزائرية وهو الإسلام: « إن فرنسا بادرت منذ الأيام الأولى للاحتلال إلى الاستيلاء على أوقاف الدين الإسلامي، وإلى تحويل عدد كبير من مساجد وجوامع الجزائر إلى كنائس للنصارى أو بيع لليهود رغم معارضة الجزائريين ومقاومتهم الشديدة لهذا الاعتداء على الاسلام ومقدساته، ومن ذلك عدد من الجوامع في العاصمة من بينها جامع كيتشاوة وجامع الباي في قسنطينة وعدد من المساجد في عنابة ووهران».[1]

ولهذا كان أول مشروع قام به الاستعمار في قطر الجزائر، بعد تقويض أسس الدولة الجزائرية، هو إلحاق: «الأوقاف الإسلامية بممتلكات الدولة سنة 1830 ، فكل المساجد الإسلامية والمؤسسات الإسلامية، قد أصبحت من ممتلكات الدولة الفرنسية الخاصة، تفعل بها ما تشاء، فهدمت منها على هذه القاعدة ما هدمت». [2]

لم تكن عملية التدمير لأماكن المسلمين المقدسة إلا واحدة من وسائل التدمير المادي والمعنوي، وكانت الوسائل الأكثر خطورة هي :« أعمال الإبادة الوحشية للمسلمين، نشر الأمراض والأوبئة وإهمال الشؤون الصحية، إفساح المجال للإرساليات التبشيرية حتى تكمل عملها فيما أطلق عليه سياسة التنصير، توجيه التعليم بما يتوافق مع الأهداف الاستعمارية».[3]

كما سعى الاحتلال إلى القضاء على اللغة العربية والثقافة العربية، وهذا تماشيا مع سياسة الفرنسة والادماج، حيث قضى على: « معظم مراكز الثقافة العربية واللغة العربية التي تتمثل في المدارس والجوامع والزوايا وكانت قائمة في البلاد قبل الاحتلال، فالبعض منها حوله إلى معاهد للثقافة الفرنسية وبعضه سلمه إلى الهيئات التبشيرية المسيحية التي اتخذته مراكز لنشاطها في هدم عقيدة الجزائريين والبعض الآخر قام بهدمه تحت دعوى إعادة تخطيط المدن الجزائرية»[4]، كما نهب الاحتلال التراث الثقافي العربي الاسلامي الذي عثر عليه في المكتبات الجزائرية مثل المخطوطات والوثائق والكتب، فقد كان: «ضباط جيش الاحتلال الفرنسي ورجال الدين المسيحي الذين رافقوه في عمليات الغزو ينهبون المكتبات الجزائرية التي يعثرون عليها في مختلف جهات القطر سواء كانت عامة أو

---

[1]. تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، مرجع سابق، ص110 ، 111.

[2] أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، (د ط) ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001، ص 147 ، 148.

[3] بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس، مرجع سابق، ص 33.

[4] تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية ، مرجع سابق ، ص 95.

خاصة، ويرسلون بمحتوياتها إلى ذويهم في فرنسا، أو يبيعونها لتجار الكتب الأوروبيين الذين يأخذونها إلى أوروبا»[1]. ولهذا كان على رأس الأولوية السياسية عند فرنسا بالنسبة للجزائر هو سياسة التجهيل، بمعنى العمل على تجهيل الشعب حتى تسهل السيطرة عليه، أو العمل على برمجته ضمن سياسة تعليمية خاصة تخرجه من ثقافته الإسلامية، وتجعله يدور في فلك ثقافة فرنسا، وقد وجهت جنودها إلى تخريب المكتبات وتمزيق الكتب أو سرقتها، حتى أن: « أحد الكتاب الفرنسيين (بربروجر) قال أنه كان لكل جندي قرآنه، وهو يعني أن الجنود كانوا يعتبرون كل ورقة مكتوبة بالعربية قرآنا، فكان منهم من يقوم بحرقها وإتلافها، ومنهم من يأخذها ويرسلها ذكريات وهدايا إلى أهله ».[2]

وقام الفرنسيون بإحراق وتخريب الكتب والمخطوطات التي كانت موجودة في مكتبة الأمير عبد القادر الجزائري، ويقول المؤرخون: « إن الأمير عبدالقادر أصابته نوبة من الحزن الشديد وهو يتتبع آثار الطابور الفرنسي مسترشدا بالأوراق المبعثرة في الصحراء التي انتزعها الجنود الفرنسيون من الكتب التي عانى الكثير في جمعها، وهذا هو تفسير ظاهرة انتشار المخطوطات العربية في مكتبات البلديات الفرنسية في معظم مدن فرنسا».[3]

خاتمة:

بعد دراستنا لموضوع الاستيطان الفرنسي في الجزائر من احتلال الأرض إلى تدمير الذات، حاولنا أن نستخلص جملة من النتائج تتمثل في:

ــ في الحقيقة أن الاحتلال الفرنسي للجزائر لم يكن استعمارا بل كان استيطانا واستدمارا، فهو لم يقتصر على نهب خيرات و ثروات البلاد فقط، بل عمل على تدمير الإنسان الجزائري من الداخل وطمس هويته، وذلك من خلال طمس المعالم العربية الإسلامية للجزائر .

ــ إحكام السيطرة السياسية والإدارية على أرض الجزائر وعلى شعبها، واعتبارها جزءا لا يتجزأ من التراب الفرنسي، وجعل الجزائريين مواطنين من الدرجة الثانية يقومون بجميع الواجبات المطلوبة من المواطنين الفرنسيين، ولكنهم لايتمتعون بحقوق وامتيازات المواطن الفرنسي من أصل أوروبي في المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية.

ــ كان الاقتصاد الجزائري هو السبب الأول الذي دفع فرنسا لاحتلال الجزائر، لأن سياسة فرنسا الاقتصادية منذ البداية قامت على نهب خيرات وثروات البلاد، وهذا ما جعل الجنرال " بيجو" يحث الفرنسيون المستوطنون على

[1] تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية ، مرجع سابق، ص 96.
[2]. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، مرجع سابق، ص 89 .
[3]. تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، مرجع سابق، ص 96 ، 97.

الإقامة حيثما وجدت المياه الغزيرة والأراضي الخصبة، بدون أي اهتمام بحق ملكية الأرض التي يجب توزيعها على المستعمرين المستوطنين، وأن تصبح هذه الأراضي الخصبة من أملاكهم الشخصية.

ـ عمل الاحتلال الفرنسي على تقسيم المجتمع في الجزائر إلى مجموعتين من السكان: المجموعة الأولى وتتكون من الجالية الأوروبية التي وفدت إلى الجزائر في ركاب الاحتلال، وتمكنت من السيطرة على أهم النشاطات الاقتصادية في البلاد، وأصبحت تحتل مركزا اجتماعيا ممتازا نظرا لثرائها وحماية دولة الاحتلال لها. أما المجموعة الثانية فهي تتكون من أفراد الشعب الجزائري وهم يحتلون المركز الأدنى من السلم الاجتماعي، ويعيشون حياة البؤس والحرمان في كل الميادين.

ـ يعتبر الوضع الثقافي لأي مجتمع انعكاسا لواقعه السياسي وبنائه الاقتصادي وتركيبته الاجتماعية، فالاحتلال الفرنسي بعد أن بسط نفوذه على الجزائر حارب اللغة العربية والثقافة العربية، كما حارب الشخصية الجزائرية ولما كانت اللغة العربية هي وعاء الثقافة العربية، فقد ركز الاحتلال حربه عليها، لأنه متى تم القضاء عليها يمكن القضاء على الثقافة العربية والشخصية الجزائرية بسهولة ويسر.

قائمة المراجع:

1 ـ بن ابراهيم الطيب، مواقف وأفكار مشتركة بين مالك بن نبي وابن خلدون، (د ط)، دار مدني، الجزائر، 2002.

2 ـ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

3 ـ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2 ، ط 4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

4 ـ أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 2 ، (د ط)، دار البصائر، الجزائر، 2007.

5 ـ تركي رابح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح والتربية في الجزائر، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981.

6 ـ تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ط2 ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

7 ـ بسام العسلي، الله أكبر وانطلقت ثورة الجزائر، ط2 ، دار النفائس، بيروت، 1986.

8 ـ بسام العسلي، محمد المقراني، ط3 ، دار النفائس، بيروت، 1990.

9 ـ بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس، ط2 ، دار النفائس، بيروت، 1983.

10 ـ مازن صلاح حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مؤسسة عالم الأفكار، المحمدية، 2011.

11 ـ أندري ديرليك، عبد الحميد بن باديس مفكر الإصلاح وزعيم القومية الجزائرية، ترجمة: مازن بن صلاح مطبقاني، (د ط)، عالم الأفكار، الجزائر، 2013.

12 ـ أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، (د ط) ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001

المعاجم والموسوعات والقواميس:

13 ـ ابن منظور: لسان العرب، (دون طبعة)، دار المعارف، القاهرة، (دون تاريخ).

14 ـ الطاهر أحمد الزاوي، مختار القاموس، الدرار العربية للكتاب، ليبيا، (دون تاريخ).

المواقع الالكترونية:

https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2015/12/18

https://arab-ency.com.sy/ency/details/3092/2